شباب

«عم نحكي كل شي غلط.. مش هيك؟»

طلاب يشرحون كيف بدأت الحرب

... «لما بلشت الحرب الأهلية، بعتقد انا ما كنت واعي، كنت عايش بالجنوب، بلشت وخلصت وكنت بعدني عم اوعى. هيه خلصت، انا وعيت..!!!».

بهذا الكلام أجاب طالب المسرح (١٩ سنة) سنة أولى بفرن الشباك على سؤال: كيف بدأت الحرب الاهلية. ثم يسوق عبدالله، وهو اسم الطالب، عذرا آخر لا يقل شرعية بنظره فيقول: «كنت أيامها بالجنوب، كنا ملتهين بشيء ثاني أهم، كنا ملتهين بإسرائيل».

اما زميله، ميشال أبي هاشم (١٩ سنة) فلقد بدا أنه يعرف اكثر منه قليلا، ربما لأنه كان هنا لا في الجنوب: «إجمالا، بدأت الحرب في عين الرمانة سنة ١٩٧٨، او سنة ١٩٧٥، شي هيك.. يمكن بين الفلسطينيين والقوات اللبنانية في مناسبة معمودية، ومرت بوسطة وأخذت «تقنّص» على الكنيسة، وهي اصلا فيها مشاكل»، نسأله: من؟ البوسطة؟، فيرد: «لأ.. الحرب، يومها بدأ الكتائب يتجندون ويردون، وعلقت الحرب ودارت طائفية...». نسأله: اي سنة انتهت الحرب؟ فيرد: «انتهت؟ أصلا لم تنته».

نسأله: ماذا تعرف عن الحركة الوطنية؟ فيقول: «أي منها؟ أعطيني أسماء، وأنا بقلك.. شمعون؟ لأ.. مش شمعون، هيداك الوطنين الاحرار...».

اما زميلهما في كلية التربية هادي موسى (سنة اولى تربية بدنية) فلقد قال ان الحرب بدأت عام ١٩٧٤: «بالاجتياح الفلسطيني للبنان»!! اما اهم محطاتها فلقد كانت ان: «الاسرائيليين دخلوا لبنان، ثم الفلسطينيين اجتاحوا، ثم تطورت مراحل الحرب، حتى وصلنا «آخر شي» لحرب التحرير واجتماع الطائف ومن اهم بنوده الامم المتحدة والقرار ٤٢٥»!!!

وتبلغ السوريالية مداها مع زميلهما فادي (سنة ثانية تربية بدنية) حيث يقول: «نعم، اعرف كيف بدأت الحرب اللبنانية، بدأت بدخول الفلسطينيين ووقوف القوات اليسارية من الجهة الثانية معهم، لأنه كانت لديهم أطماع خصوصا... بالأرض الخصبة في جبل لبنان (!!!) اصلا، حتى اليوم هي اكثر المناطق ازدهارا»!!!.

نسأله: ومتى انتهت الحرب؟ فيرد: «أصلا ما خلصت، الدولة تقول انها خلصت لكن عليها ضغوطا خصوصا من الجيران لكي يكون الانطباع ان الحال ماشي وتمام». ومن فرن الشباك الى رمل الظريف، وبالتحديد امام ثانوية رينيه معوض للبنين، التي اغتيل أمامها الرئيس اللبناني المنتخب خلال الحرب.

يقول الطالب الثانوي سامر ناصر (١٥ عاما) عن سبب موت الرئيس السابق رينيه معوض انه «قتل من وراء الحرب الاهلية»، ويحاول اصحابه ان يصححوا له، فيقول احدهم: لا بل إغتيالوه، في حين يسخر منهم طالب قائلا: «اغتالوه؟ سكتة قلبية يا حمار...».

جو التهييص جعل الطلاب يحتارون بين الاجابة الجدية وبين اخذ الموقف كله على محمل الضحك: «الحرب الاهلية؟ احداث حوادث لبنانية يعني؟ (من مسرحية زياد الرحباني) لحم بعجين»!

يقول سامر في محاولة لاجابة جدية: «حسب علمي بدأت العام ١٩٧٤ لان الاسرائيليين اجتاحوا لبنان لان الفلسطينيين كانوا يقاومونهم من لبنان. لذلك حصلت الحرب». اما ماذا يعرف عن بوسطة عين الرمانة؟ فيقول: «بدك تقولي ان الاسرائيليين عملوا مثل مجزرة راح فيها قتلى كتير». اما ايهاب الشمعة وهو طالب بريفيه، فيجيب: «بدأت الحرب اللبنانية بحرب داخلية بين الفرنسيين ولبنان (!!!) على أساس انهم سيأخذون الحكم عندنا ويعملون لنا دستورا لكي يستقل لبنان» تقول له: هذه حرب قديمة، نسأله عن الحرب الاهلية، فيقول: «الحرب اللبنانية بدأت كطائفية في لبنان». نسأله: شو يعني؟ فيقول بتحد: «بدك نسمي أسماء؟ (Ok)».

ميشال عون وجعجع.

هذه الحرب اثرت كثيرا على لبنان ودمرت الكثير لأنهم كانوا ضد بعضهم البعض. كان الكتائب مع جعجع والقوات اللبنانية مع عون» ثم يضيف بما يشبه اللغة الفصحى في المسلسلات التاريخية: «وهكذا نشأت الحرب»! ثم يستطلع نظراتنا ليرى تأثير ما قاله علينا، على طريقة الطلاب الذين يستطلعون صحة إجاباتهم على وجه الاستاذ، ليتابع: «النيابة كانت عندنا في لبنان ضد جعجع، بس كانوا مع عون. اما الوزراء فلقد جاؤوا ضد جعجع. لكن الحكم عندنا في لبنان ليس عادلا، لانه لو كان عادلا، لحكم على جعجع الذي قتل ملايين اللبنانيين والكنائس والتفجيرات بالاعدام. في حين انهم يحبسونه فقط. وفي الوقت نفسه اعدموا الثلاثة الذين قتلوا شخصا واحدا هو (الشيخ) نزار الحلبي...».

نسأله كيف انتهت الحرب فيرد: «راح ميشال عون وانحبس جعجع ورجع السلم» ثم يستدرك: «مع انه ما في سلم إلا بعد انسحاب اسرائيل»!!

نسأل سامر: «هل تحس بأنك تفهم ما الذي حصل في الحرب الاهلية؟!! فيرد: «لأ.. ما كتير. لانهم «هم» لا يريدون ان نفهم. الرؤساء الكبار لا يريدون ان نفهم لكي لا نعرف الحقيقة ولكي لا نكتشف حقيقتهم»، نستدرجه لاجابة: «وماذا برأيك علينا ان نفعل لكي نفهم؟» يرد: «خلص لا تريد ان نعرف ما الذي حصل، لاننا لوفتحنا المجال لهذه الاسئلة، بيرجع بيصير مشاكل».

نلمح طالبين من صفوف ثانوية نهائية: يقول أيمن مكاوي (١٧ سنة): لا اعرف كيف بدأت الحرب الاهلية، لم اكن مولودا.. لكن اظن انها بدأت بين الفلسطينيين واللبنانيين ثم اصبحت بين السنة والشيعة والمسيحيين «واللي بدك اياه». ثم.. خلصت. جاء الأخوان من الشقيقة وخلصوها». نسأله ماذا يعرف عن بوسطة عين الرمانة، فيقول: «جاء الاخوان الكتائب، نزلوا ورشوا الاخوان الفلسطينيين.. ثم علقت». نسأله كيف انتهت هذه الحرب، فيجيب: «باتفاق بين الاخوان بالطائف».

اما على ماذا نص اتفاق الطائف؟ فلقد اجاب زميله سيرج ارسلانيان بقوله: عدلوا الدستور لجهة تحديد صلاحيات رئيس الجمهورية واعطاء المزيد من الصلاحيات لرئيس الوزراء».

يتفاقم الوضع في كلية التربية - الاونيسكو، حيث تجيبنا الطالبة ميرنا (سنة اولى) على سؤالنا كيف بدأت الحرب الاهلية بالقول: «هي بدأت.. لا اعرف.. انهم يحتجون بأسباب لكن اهدافهم سياسية»!.

اما زميلتها سماح (١٩ عاما) فتقول: «كان هناك عون وجعجع.. كذلك «علقوا» مع السوريين بعض المرات، وهناك «حزب الله» وامل والفلسطينيون» نسألها من كان يحارب ضد من؟ فترد: «اعرف ان عون كان يريد البقاء.. لا اذكر (تضحك) اصلا لقد عودونا ان ننساهم، لانهم على ما يبدو يحضروننا لشيء «أضرب»» تقول ميرنا: «أصلا يجب الا نتذكر الحرب ولا لماذا بدأت.. أنو خلص، صارت وراءنا». اما لماذا؟ فتقول: «لأننا يجب أن نتذكر التاريخ، فقط اذا كان «حلو» لكن الحرب بشعة»!! نسألها ماذا تدرس فتقول: «تربية»!

اما سماح، التي تدرس الرياضيات والعلوم، فتقول عن نهاية الحرب الاهلية: «لم تنته.. لا تزال الحرب موجودة بشكل الطائفية، المسيحي دائما ضد المسلم والمسلم ضد المسيحي، هناك خط احمر بينهما احس «أنو بدها نكزة حتى ترجع تعلق».

ثم، نصل الى كلية.. الاعلام، تقول لنا الطالبة جوماننا يوسف (سنة ثالثة علاقات عامة): «الحرب الاهلية؟ بدأت العام ١٩٨٢ اليس كذلك؟ أكيد مع طرفين في لبنان، اليس كذلك؟ لم اكن «واعية» لكنها بدأت بين عون والقوات.. اليس كذلك؟».

نسألها ان كانت الحرب الاهلية بدأت العام ١٩٨٢ فما الذي حصل العام ١٩٧٥؟ تقول: «الاجتياح الاسرائيلي» ثم تسأل سؤالها المقضل: «أليس كذلك؟».

اما زميلتها ندى بو حمدان، فتقول: لا اعرف ما الذي حصل بالضبط، لكنهم قتلوا بعضهم طائفيا. وانتهت الحرب برحيل «مسيو عون» الى فرنسا، وتسليم القيادة لميشال سليمان.. عفوا العماد لحود». اما اسباب الحرب فهي: «اظن انه كانت لسوريا علاقة ما بالموضوع». ثم تنظر الى تعبير الدهشة على وجه المصور لتقول: «عم نحكي كل شي غلط مش هيك؟ أي مجلة أنتو؟».

نسألها الا تحس برغبة او ضرورة بأن تعرف ما الذي حصل مثلا في لبنان بين العامين ١٩٧٥ و١٩٩٠؟ فترد: «طبعا اريد، خاصة انني احس ان هذه الحرب سوف تعود قريبا جدا. لكن لدينا أشياء اخرى اهم تشغلنا عن هذه المعرفة مثل: ما الذي سنفعله بعد التخرج؟ لا عمل في السوق. لكني اظن ان الملام في جهلنا هو الدولة، لان واجبها ان تقدم لنا معلومات وان تضع لنا برامج حتى «توعينا شو صار». انو.. حتى من الاستقلال مش معروف شو صار معنا». نسألها لماذا؟ فتقول: «لإني احس ان الطرف المسؤول عن لبنان هو الذي نفعته الحرب الاهلية».

اما الطالب وديع الحايك (٢٢ سنة) فلقد بدا اكثر اطلاعا: «اعرف انها بدأت بقصة بوسطة عين الرمانة، كانت الحرب يومها كتأثيرة فلسطينية.. لكن كان لها رواسب قبل ذلك». وكيف انتهت الحرب؟ يقول: «لم تنته، ربما بالمنحى العسكري انتهت على الارض. لكنها تستمر بالصراعات الطائفية - السياسية. فالطائفية هي الاساس.. واليوم يجربون حرب المنابر».

اما الطالب الياس شربل (١٩ عاما)، فيبدا انه ينتمي لبيئة لها علاقة بالمتابعة السياسية: «يقولون ان بداية الحرب كانت بوسطة عين الرمانة، لكن اساس الحرب كان الجبهة اللبنانية والاحزاب اليمينية. كانت لديهم مطامع في لبنان حيث ارادوا ان يعملوا دولة مسيحية. من الجهة الاخرى كان هدف الحركة الوطنية والفلسطينيين تحرير ارض فلسطين وليس توطين الفلسطينيين في لبنان. لكن الكتائب والجبهة اللبنانية «فهموها» انها توطين وارادوا انشاء دولة مسيحية لا اكثر ولا اقل» اما كيف انتهت الحرب؟ يقول الياس: «برأيي انتهت بالاجتياح الاسرائيلي الذي قضى على كل البنى التحتية للمقاومة والحركة الوطنية.. وانتهت الحرب، الا اذا اردت ان تحسبي حرب الالغاء حربا اهلية»!!.

في ساحة ساسين، نلتقي بالطالبة آني تابكيان (١٩ عاما) التي تقول لنا: «أصلا جذور الحرب الاهلية قديمة، لكن الحادثة الرسمية هي العام ١٩٧٥ بالبوسطة، ثم دبت الحرب بين فئة أشخاص وفئة اشخاص، يعني لا تستطيعين القول بين مسيحيين وإسلام، شكليا ظهرت هكذا، لكنها بدأت بين اليمين واليسار ثم انقلبت طائفية: أسلام - مسيحية، ثم مسيحية - مسيحية، وانتهت مبدئيا العام ١٩٩٠ بالطائف.

نسألها هل تحس بان الدولة مقصرة تجاه المواطنين بعدم تدريس الحرب الاهلية في البرامج المقررة؟ فترد: «طبعا مقصرة، لانهم يخافون من ان يتكلموا بالموضوع، وهم يخافون لدرجة انهم يتكلمون بعكس الموضوع: مثلا امي لا تقول لي كل يوم ان اخي هو اخي، فأنا اعرف انه اخي والناس تعرف انه اخي. الدولة اللبنانية تقول لنا كل يوم اننا اخوة. لو لم تكن خائفة من العكس لا اكدت لنا هذا الامر كل يوم. انو اللبناني المسلم او المسيحي هو اخي ولبناني»، انا اعرف، انا لبنانية وهو لبناني.. وبالنهاية، فإننا كلنا مسؤولون عن تاريخنا المشترك. لكن.. اين هو هذا التاريخ؟؟».

ضحى شمس

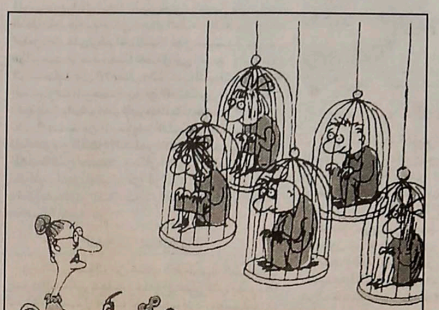

(عن الكوريير انترناسيونال)